مادتا (خلف) و (خصم) في القرآن الكريم – دراسة دلالية –

د. رياض حمود حاتم المالكيّ م.م. رياض علي حسن
كلية الدراسات القرآنية/ جامعة بابل كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

The Words (Successor) and (Opponent) in the Holy Quran – A Referential Study

Dr. Riyadh Hammood Hatim Al-Maliki
College of Quran Studies / University of Babylon
Asst. Lecturer Riyadh Ali Hasan College of Imam Kadhim (pbuh)

Abstract

The Holy Quran was and is still the greatest, inexhaustible resource for all ages for the scholars in literature and linguistics. Among the reasons behind choosing the subject of the research is the connection between the word (successor) and the concepts and rules in jurisprudence. This is because it is closely related to one of the bases of Islam that is Al-Jihad (struggle) and the other word (opponent) which denoted conflict and opposition. So many words in the Holy Quran refer to disagreement. What is important to the research is the disagreement which denotes conflict and opposition, not in the sense that the human being are naturally different in characters and entities like the varieties of food.

المقدمة

إنَّ القرآن الكريم كان – ولا يزال – المعينَ الأعظم الذي لا ينضُب – على مدِّ العصور – من مدِّ الدارسين بالعلوم والآداب واللغة، فمهما ألّف المؤلفون من كتب وصنّفوا من تصانيف فلن يستطيعوا إيفاءه حقه من البحث والدراسة.

أما هذا البحث الموسوم بـ ﴿مادتا (خلف) و (خصم) في القرآن الكريم / دراسة دلالية﴾ فإنَّ من بين أسباب اختياره موضوعا للبحث ارتباطَ إحدى هاتين اللفظتين (خلف) بمفاهيم وأحكام فقهية؛ كونها على اتصال مباشر بشعيرة مهمة من شعائر الله تعالى: في ركن من أركان الإسلام وهو الجهاد، قال تعالى: ﴿**إِنْكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**﴾ (التوبة 83)، فضلا عن ارتباطها مع اللفظة الأخرى (خصم) بدلالة التنازع والخصام التي سلط البحث الضوء عليها.

إذ تضافرت ألفاظ عديدة في القرآن الكريم لتدل على الاختلاف، بيد أن الجذر (خ ل ف) كان له الحظُّ الأوفر من بين الألفاظ الأخرى، حيث يأتي في مقدمة تلك الموادِّ اللغوية؛ فهو الأكثر استعمالا في القرآن الكريم من الجذر (خصم)، كما ان لهذا الفعل مفهوما واسعا، وما يهمنا في بحثنا هذا هو الاختلاف بمعنى النزاع والخلاف، لا بما هو سُنَّة إلهية في الخلق كجعلهم متفاوتين في خلقتهم وماهياتهمْ كاختلاف الغذاء مثلا، قال تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ**﴾ (**الرعد: 4**)، او اختلاف ظواهر الطبيعة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (**آل عمران: 190**)، أو الاختلاف في القدرات البشرية، قال سبحانه تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ** ﴾ (**البقرة:251**)، إلى غير ذلك من موارد الاختلاف الايجابي (عدم التنازع).

المبحث الأول: مادة خ ل ف

الاختلاف لغةً: مصدر اختلف، والاختلاف أو الخلاف هو: المضادة، وقد خَالفه مُخالفة وخِلافاً، وتَخَالَف الأمرانِ واختلفا، إذا لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تَخَالَف واخْتَلَفَ، قال تعالى: ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ**﴾ (**النحل:13**)[1].

فالاختلاف أو الخِلاف ضدّ الاتفاق، وهو أعمُّ من الضدِّ، قال الراغب الأصفهاني (الخلاف: أعمُّ من الضدِّ؛ لأنَّ كلَّ ضدينِ مختلفانِ، وليس كل مختلفين ضدين)[2].

(1) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور : 4/187-188 .
(2) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني : 156 .

فدلالة الاختلاف أو الخلاف هو التضادُّ والتعارض لا عدم التماثل، وهو بذلك يجاري لغةَ القرآن في دلالته على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿**وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ**﴾ **(البقرة:253)**. أي: (أن يذهب كلُّ واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر)[1].

أمّا الاختلاف في الاصطلاح، فهو (أن يأخذ كلُّ واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله)[2]، أو هو (منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حقٍّ أو لإبطال باطل)[3].

(ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ**﴾ **(مريم:37))** [4].

وقد أطبق أصحاب المعاجم على أن الاختلاف لا يخرج عن معان ثلاث جمعها ابن فارس بقوله: ((الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها: أن يجيئ شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدّام، والثالث: التغيير))[5]. والاختلاف في الرأي من الباب الأول؛ ((لأن كلَّ واحد منهم يُنحّي قول صاحبه، ويُقيم نفسه مقام الذي نحّاه))[6]

وقد فرَّق بعض العلماء بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح، من أربعة وجوه ذكرها أبو البقاء الكفوي في كليّاته، وهي أن:

1- (الاختلاف): ما اتحد فيه القصد، واختلف في الوصول إليه، و(الخلاف): يختلف فيه القصد مع الطريق الموصل إليه.

2- (الاختلاف): ما يستند إلى دليل، بينما (الخلاف) لا يستند إلى دليل.

3- (الاختلاف): من آثار الرحمة، بينما (الخلاف): من آثار البدعة.

4- (الاختلاف): لو حكم به القاضي لا يجوز فسخه من غيره، بينما (الخلاف): يجوز فسخه[7].

وخلاصة قوله: إنه إذا جرى الخلاف فيما يسوغ سمي اختلافاً، وإن جرى فيما لا يسوغ سمي خلافاً.

ولجذر (خ ل ف) في اللغة دلالات حسِّيَّة تلقي بظلالها على الاستعمال القرآني، ومن ذلك:

مات عنها زوجها فَخَلَف عليها فلان إذا تزوجها بعده.

وخَلَفَ له بالسيف: جاءه من خَلْفِهِ فضرب عنقه به.

وأَخْلَفَ الله عليك: عوَّضَكَ ممَّا ذهب منك خلفًا.

وفلان مُخْلِف مُتْلِف ومِخْلَاف مِتْلَاف.

وفلان يلبس الخليف وهو الثوب يبلي وسطه فيخرج ويُلَفَّق طرفاه.

وأثبت الله الخِلْفَة وهي النبات بعد النبات والثمر بعد الثمر.

وجلست خِلافَ فلان وخَلْفَه أي بعده.

وأَخْلَفَ الطائر: نبت له ريش بعد الريش [8].

ويبدو أَنّ ثمة علاقة بين المعنى الحسيِّ والدلالة المعنوية للخلاف، تُستَشَفُّ من المغايرة وتغيّر الحال بين كل تلك المعاني.

وقد وردت مادة (خ ل ف) ومشتقاتها في القرآن الكريم سبعًا وعشرين ومئة مرة بدلالات مختلفة، وجاءت دالة على التنازع – موضوع البحث – عشرين مرة.

ومن مشتقات الجذر (خلف) الفعل (اختلف) على وزن افتعل، وهو مزيد بحرفين _ الألف و التاء _ ويشترك في المعنى نفسه وهو تشارك شخصين أو أكثر في الخلاف – أي المشاركة، ويشترط في فاعل الفعل الذي على وزن افتعل الذي يدلّ على المشاركة أن يكون متعدِّدا، أي متكوِّنا من اثنين فأكثر[9]، قال تعالى: ﴿**وما كان النّاس إلاّ أمّة واحدة فاختلفوا**﴾ **(يونس 19)**.

---

(1) ينظر: المصباح المنير في غريب شرح الوجيز ـــ أحمد بن محمد الفيومي : 179 .
(2) مفردات ألفاظ القرآن : 156 .
(3) التعريفات : علي بن محمد الجرجاني : 135.
(4) مفردات القرآن : 156 .
(5) مقاييس اللغة :210/2 .
(6) مقاييس اللغة : 210/2 .
(7) ينظر: الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي : 61 .
(8) ينظر : أساس البلاغة : 263/1 ...
(9) ينظر : شرح ابن عقيل : 2 / 264 .

إنّ الاشتقاق الأخير هو الأكثر تواترا في القرآن الكريم، وقد ورد في صيغ متعدِّدة: منها الماضي مفردا، غائبا، وجمعا، غائبين، ومخاطبين، قال تعالى: ﴿**وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيا بينهم**﴾ (البقرة: 213)، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ (البقرة:176)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ (الشورى: 10). وأيضا ورد في المضارع مع المخاطب الجمع قال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ (آل عمران: 55). ومع الغائب الجمع، قال تعالى: ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ (البقرة: 113). كذلك استعمل الفعل في صيغة المبنى للمجهول مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ**﴾ (هود: 110).

وورد جذر (خ ل ف) بصيغة المضارع مع المتكلم من الفعل خالف مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ **(هود: 88)**.

كما أنّ للجذر مشتقّات ذوات معنى سلبي (يفضي الى التنازع) على وزن اسم الفاعل وجمعه، والذي يحمل معنى التّفاعل بين رأيين وبين سلوكين متضادّين، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**﴾(التوبة 83)، وقال تعالى: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ (التوبة: 87).

أمّا المشتقُّ الأخير، فهو اسم الفاعل وقد ورد مفردا كقوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**﴾ **(الذاريات: 8)**، وجمعا، في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾ **(النبأ: 3)**.

وممّا يلاحظ في هذه الآيات جميعها أنّ (الاختلاف) سواء ورد فعلا أو اسمَ فاعل قد اتصل بمحاور عدة، وهي محور الطبيعة والنبات والحيوان والإنسان. أمّا ما كان فعلا، فقد اتصل كلّه بالإنسان. أمّا اسم الفاعل، فقد تناول المحاور كلها.

والملاحظ أيضا أن لفظ الاختلاف في القرآن الكريم متعلق في الحياة الدنيا، فلا مجال للخلاف في الآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ **(البقرة: 176)** ، والخلاف تارة يكون في أصل الكتاب كما في الآية السابقة، ويكون تارة ثانية في تحديد ما أمر الله به، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ (النحل: 124)، وتارة ثالثة الاختلاف في أصل عيسى وبشريته ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ **(النساء: 157)**.

والاختلاف في الآية العاشرة من سورة الشورى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ بمعنى النزاع، ولهذا المعنى ذهب المفسرون، قال الطبرسي: (إنَّ الذي تختلفون فيه من أمور دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه إلى الله)[1]، وكذا قال الرازي (وما اختلفتم فيه من شيء وتنازعتم فتحاكموا فيه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم) [2]، فقد فسرا الاختلاف بالنزاع، لما يؤول إليه الأمر من النزاع والتخاصم.

ويفهم من الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير الشرع الحنيف، وقد أوضح تعالى: هذا المفهوم موبِّخاً للمتحاكمين إلى غير ذلك الشرع مبيناً بقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يتحاكموا إِلَى الطاغوت وَقَدْ أمروا أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشيطان أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾(النساء: 60)[3].

وممّا يُلحظ أنَّ لفظ الاختلاف الوارد في جميع الآيات التي عني بها البحث لم يخرج عن الاستعمال القرآني في دلالته تلك؛ إذ وجدنا بعد الاطلاع على كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ)، وكتاب إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني _ رحمهما الله تعالى: _ أنهما لم يذكرا دلالاتٍ قرآنيةً لمادة (خلف) مغايرة لدلالتها اللغوية.

وإذا وقفنا على التراكيب اللغوية للآيات الكريمات _ موضوع البحث _ وجدنا أن الفعل (يختلفون) وقع صلة لاسم الموصول في أغلبها، ودلالة الاسم الموصول في هذه الآيات ومثيلاتها هي إرادة العموم؛ إذ أن مجيء الفعل على صيغة (يختلفون) في هذه الآيات الكريمات جميعها يدلّ على وقوع الحدث كثيرا، فهو يتكرر لا يحدث في وقت واحد، بل يقع في أزمان مختلفة متكررة، إذ

---

[1] مجمع البيان : 9 / 33 .
[2] التفسير الكبير : 13 / 415 .
[3] أضواء البيان في تفسير القران بالقرآن : 1/ 291 .

الاختلاف في القرآن، وفي النبوة، وفي البعث والنشور يكون كثيرا ومتكررا. وممَّا يدلل على كثرته قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [النمل: 76].

المبحث الثاني: مادة خ ص م

وقد عبَّر القرآن الكريم أيضا بما يحمل معنى الاختلاف بلفظ: خصم، وفي معناها قال ابن فارس: إنَّ لهذه المادة أصلين (أحدهما المنازعة، والثاني جانبُ وِعاءٍ)[1]، ويرى الراغب الأصفهاني أن الأصل الثاني هو الأساس، ومنه أُخذت المخاصمة، حيث قال (وأصل المخاصمة أن يتعلَّق كلّ واحد بخصم الآخر أي جانبه وان يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب)[2].

فدلالة المخاصمة انتزعت من طرف الشيء، فكلا المتخاصمين ينظر إلى سبب المخاصمة من طرف وجانب، ولذا يسعى لجذبه إليه.

(والمخاصمة: منازعة المخالفة بين اثنين على وجه الغلظة)[3]، ويقال في الاشتقاقات (خاصَمْتُهُ مُخاصَمَةً وخِصاماً، والاسم الخُصومَةُ)[4]، (والخصومة الاسم من التخاصم والاختصام)[5]، و(الخَصْمُ معروف، يستوي فيه الجمع والمؤنَّث)[6]، وفُرِّق بين الخصم والخصيم بالقول (الخَصم: العالم بالخصومة وإن لم يخاصم , والخَصيم الذي يخاصم غيره)[7]، وجاء في الجمهرة (الخَصْم الفاعل والخَصِيم المفعول به)[8].

استعمل الجذر (خ ص م) في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة، جاءت كلها دالة على الاختلاف والتنازع، وكانت أحواله على الوجه الآتي:

1. ورد فعلا ماضيا (اختصم) في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ** (الحج: 19)﴾.
2. ورد فعلا مضارعا مثبتا مرفوعا (اختصم ـ يختصمون) في ستة مواضع، في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾ (الزمر:31)، وفي قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ (آل عمران: 44)، وفي قوله تعالى: ﴿**قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ**﴾ (الشعراء: 96)، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**﴾ (النمل: 45)، وفي قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ (ص:69)، وفي قوله تعالى: ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾ (يس:49).
3. ورد فعلا مضارعا منفيا بـ(لا) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ**﴾ (ق: 28).
4. ورد صفة مشبهة من الثلاثي، على وزن (فَعِل) (خَصِم)، بصيغة جمع المذكر السالم، في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَآَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ (الزخرف: 58). ومما يلحظ في الآيات الكريمات أن لفظ الخصام ورد وصفا على وزن (فَعِل) (خَصِم)، بصيغة جمع المذكر السالم في موضع واحد فقط في هذه الآية _ الثامنة والخمسين من الزخرف _ التي جاءت في سياق الإخبار بالجمع (خصمون)، أي أن الخصومة شملت جميع من عنت الآية الكريمة بالجدال، وهذا يدل على شدة الخصومة واللّدد وشمول جميع الأطراف المجتمعة للمثل والراضية به؛ إذ لم يقتصر على القائل وحده فحسب، فضلا عمّا تدل عليه صيغة الصفة المشبهة من زيادة في المعنى كما أن الإخبار جاء بالصيغة الإسمية ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾، كل ذلك تظافر في إبراز الخصومة الشديدة.

---

(1) مقاييس اللغة : 2 / 187، وينظر : أساس البلاغة : 1 / 251 .
(2) مفردات ألفاظ القرآن :150 .
(3) الفروق اللغوية : 488 .
(4) الصحاح : 5 / 1912 .
(5) لسان العرب :4/ 187 .
(6) الصحاح : 5 / 1912 .
(7) تاج العروس : 32 / 102 .
(8) الجمهرة : 1/ 246

5. ورد مصدرا على صيغ متنوعة، وهي:

أ ـ على صيغة (فَعِيل) (خَصِيم) في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ (النحل: 4)، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** (يس: 77) ﴾، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ (النساء: 105).

ب ـ على صيغة (فِعَال) (خِصَام) في موضعين، في قوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ (الزخرف: 18)، وفي قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾ (البقرة: 204).

ج ـ على صيغة (فَعْل) (الخَصْم) في ثلاثة مواضع، بصيغة المفرد في موضع واحد، وفي موضعين بصيغة المثنى، قال تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾ (ص: 21)، وقال تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ (الحج: 19)، وقال تعالى: ﴿**قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**﴾ (ص 22).

د ـ على صيغة (تَفَاعُل) من الفعل (تَفَاعَل) في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ**﴾ (ص: 64) . حيث تأتي صيغة الفعل (تَفَاعَل) لعدة معانٍ منها:

- المطاوعة أي مطاوعة فاعل[1]، إذا كان فاعل لجعل الشيء ذا أصله نحو: باعدته فتباعد ومعنى المطاوعة هنا يكون بمعنى التأثّر وقبول أثر الفعل[2]. (سواء كان التأثير متعدياً نحو: علَّمته الفقه فتَعَلَّمه – فالتعليم تأثير والتعلُّم تأثُّر وقبول لذلك الأثر وهو متعدٍّ كما ترى – أم كان لازمًا نحو: كسرته فانكسر أي تأثر بالكسر... فالمطاوع حقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلاً نحو: (باعدت زيداً فتباعد، المطاوع هو زيد، لكنهم سموا فعله المسند إليه مطاوعاً مجازا)[3].
- وتأتي بمعنى التظاهر بالشيء، يقول ابن فارس: تفاعل يكون من اثنين نحو: تخاصما ويكون من واحد نحو: تراءى له ويكون إظْهاراً لغير ما هو عليه نحو: تَغَافَل: أَظْهَرَ غَفْلَةً وليس بِغَافِل[4].
- وتأتي بمعنى التدرّج[5]، أي حصول الفعل بالتدريج شيئاً فشيئاً، نحو وورد الفعل تزاور في قوله تعالى[6]: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إذا طَلَعت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذاتَ اليَمِين**﴾ (الكهف: 17)، أي: تنحرف عن كهفهم بالتدريج شيئاً فشيئاً.
- وتأتي بمعنى المبالغة[7].
- وتأتي بمعنى التشارك، ومعناه: تشارك أمرين فصاعداً في أصل الفعل صراحة[8]، نحو: تضارب زيدٌ وعمرو، أي: تشاركا فيه أو هو التشارك في الفاعلية لفظاً وفيها وفي المفعولية معنًى[9].

وهذه المشاركة تكون أمرًا معنويًا لا لفظيًا، وأنّها تكون ثابتة في (تضارب زيدٌ وعمرو)، وكذلك التعلّق إذ إنَّ للمضاربة تعلّقا صريحا بعمرٍ في هذا المثال وأنّ زيدًا وعمرًا متشاركان صريحًا في الضرب[10]. وهذا المعنى هو ما دلت عليه صيغة (تخاصم) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ**﴾.

وذكر الرضي أنّه لا فرق من حيث المعنى إذ إنّ صيغتي (فاعل وتفاعل) تفيدان كون الشيء بين اثنين فصاعداً، وليس كما يتوهم من أنّ المرفوع في باب فاعَلَ هو السابق بالشروع في أصل الفعل على المنصوب بخلاف باب تفاعل[11].

وقد فرّق بعض الباحثين بين معنى المشاركة الذي تدلّ عليه صيغة (فاعَل) ومعنى التشارك الذي تدلّ عليه صيغة (تَفَاعَل)، وذلك أنّ صيغة (فاعَل) تدل على المشاركة بين اثنين أحدهما فاعل صراحة والثاني فاعل ضمنا، وأمّا صيغة (تفاعل) فإنّها تدلّ على

---

(1) ينظر : شرح المفصّل: 159/7.
(2) ينظر : شرح الشافية: 103/1.
(3) شرح الشافية : 1 / 103 .
(4) ينظر : فقه اللغة : الفصل 61 ، في أبنية الأفعال : 409 .
(5) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها: (103).
(6) ينظر : المعاني الصرفية للفعل الثلاثي: (72).
(7) ينظر : المصدر نفسه : 66 .
(8) ينظر : شرح الشافية: 99/1.
(9) ينظر : حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لمحمد علي الصبّان: 244/4.
(10) ينظر : شرح الشافية: 100/1.
(11) ينظر : شرح الشافية: 100/1.

أنّ التشارك بين اثنين صراحة[1]؛ لأن (حقيقة صيغة التفاعل تفيد صدور معنى المادة المشتقة منها من الفاعل إلى المفعول وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل)[2]، أي يتعدد الفاعل، إذ لا يكتفي الفعل بفاعل فَرْد [3] ، ومن أجل هذا كانت تنقص مفعولاً عن صيغة (فاعل)[4].

واستخدام الصيغة الدالة على التشارك في الآية الآنفة الذكر جاء ليقرر حقيقة أخروية ثابتة وهي أن أهل جهنّم كما أنهم مبتلون في هذه الدنيا بالخصام والنزاع والحروب، كذلك شأنهم يوم القيامة، تراهم يتنازعون فيما بينهم في جهنّم[5]، وهذا يدل على (ما استقر في نفوسهم في الدنيا من ملكة التنازع والتشاجر)[6]. (فأصدقاء الأمس أعداء اليوم، والتابعون في الأمس صاروا معارضين اليوم، ويبقى . فقط . خطّ التوحيد والإيمان، خطّ الوحدة والصفاء في هذا العالم وذاك)[7].

ومما يلحظ في سياق الآية إظهار المعاداة باللسان، وهذا يتناسب معه استخدام دلالة المخاصمة في الآية محلِّ الحديث، قال تعالى: ﴿**هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)**﴾ (ص: 59–64)، جاء في الفرق بين المخاصمة والمعاداة: ((أن المخاصمة من قبيل القول، والمعاداة من أفعال القلوب، ويجوز أن يخاصم الإنسان غيره من غير أن يعاديه، ويجوز أن يعاديه ولا يخاصمه))[8].

ومما يلحظ في الاستعمال القرآني لمادة (خصم) انحصار استعمالها في الدلالة على المنازعة فحسب؛ إذ أننا لو تتبعنا هذه المادة في المعجم العربي لوجدناها منحصرة في معنيين اثنين أشار اليهما ابن فارس _ الخصومة والمنازعة، ولم يخرج القرآن الكريم في استعماله لهذه المادة عن المعنى اللغوي؛ إذ انحصر استخدامه لها على دلالة التخاصم والنزاع. ولم تشر كتب الأشباه والنظائر وإصلاح الوجوه والنظائر لدلالات قرآنية مخالفة للدلالات اللغوية لمادة (خصم). –والله تعالى: أعلم بحقائق الأمور–.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة من البحث التي نأمل أن تكون مثمرة، لابد من الوقوف عند أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. شغلت مادتا (خلف) و (خصم) بمعنى الاختلاف السلبي حيزاً من كتاب الله، حيث بلغت ثمان وثلاثين لفظة، وردت بصيغ واشتقاقات وتراكيب مختلفة ومتنوعة.
2. من خلال الوصف الصرفي لهذه الألفاظ تبين أنها كانت على نوعين: فعلية واسمية، وأن الفعلية منها جاءت على زنة الثلاثي المزيد وبصيغتي الماضي والمضارع.

   أمّا الصيغ الاسمية فقد تنوعت وتعددت وشملت المصادر والمشتقات كاسم الفاعل وصيغة المبالغة والصفة المشبهة مفردة ومثناة وجمعا، للغائبين والمخاطبين.
3. وقد كان لتراكيب هذه الألفاظ صور متعددة ومتلونة ضمّت كثيرا من أبواب النحو العربي، إذ جاءت جميع الأسماء والأفعال فيها معربة، وضمت صوراً مختلفة من المفرد والمثنى وجمع المذكر السالم، وكذلك النكرة والمعرفة. وضمت أيضاً صوراً متعددة من الإعراب كالمبتدأ والخبر، والمضاف إليه، والنعت. وهي في هذه المواضع الإعرابية المختلفة منسجمة في وحدة تركيبية محكمة ومعبرة جسدت صورة من صور الإعجاز القرآني.
4. يلحظ من خلال البحث أن مادتي (خلف) و (خصم) جاءتا على محورين دلاليين وعلى النحو الآتي: أ ـ مادة (خلف) بمعنى الاختلاف السلبي اقتصر استخدامها في الحياة الدنيوية، فلم تستخدم في موارد الآخرة. ب ـ مادة (خصم) بمعنى الاختلاف السلبي تنوع استخدامها في الحياة الدنيوية والأخروية.

---

(1) ينظر : دروس التصريف: 77 .
(2) التحرير والتنوير : 16 / 14 .
(3) نحو إتقان الكتابة باللغة العربية : 165 .
(4) ينظر : دروس التصريف: 77 .
(5) ينظر : الامثل : 14 / 357 .
(6) الميزان : 221/17 .
(7) الامثل : 14 / 357 .
(8) الفروق اللغوية : 488 .

5. تنوّعت دلالة الأصل اللغوي لألفاظ الاختلاف التي وردت في القرآن الكريم، فقد ضمّت العديد من الدلالات، وكان من ضمن هذه الدلالات دلالة الاختلاف بالمعنى السلبي (التنازع والخصام).
6. ورود المادة (خصم) في القرآن الكريم دالة على الاختلاف المفضي إلى التنازع فقط.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.
2. أضواء البيان في تفسير القران بالقرآن، لمحمد بن أحمد بن محمد المختار الشنقيطي (ت 1322هـ)، مطبعة المدني، السعودية، 1400هـ/1980م.
3. الأمثل، العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الاميرة للطباعة والنشر، بيروت، 1426هـ/ 2005م.
4. أوزان الفعل ومعانيها، د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1971م.
5. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني (1025 هـ)، تحقيق عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1385هـ/1965م.
6. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ت)، 1984م.
7. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، 1416هـ ـ 1996م.
8. التفسير الكبير، الفخر محمد بن عمر الرازي (606هـ) – المطبعة البهية المصرية، مصر (د. ت).
9. الجمهرة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (321 هـ)، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
10. حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصَّبَّان (أبو العرفان محمد بن علي– ت1206هـ) ومعه شرح الشواهد، العيني (بدر الدين محمود بن أحمد– ت855هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت).
11. دروس التصريف، محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثالثة، 1378هـ/1958م.
12. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري (ت 769هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (د. ت).
13. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن– ت 688هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الفكر العربي، بيروت، 1395هـ/1975م.
14. شرح المفصّل، ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، ت643هـ)، المطبعة المنيرية، مصر، (د. ت).
15. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 400هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990م.
16. الفروق اللغوية، الإمام الأديب اللغوي أبو هلال العسكري (ت 406هـ)، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (د. ت).
17. فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429هـ)، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور ياسين الأيوبي، المطبعة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ/2000م.
18. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/1998م.

19. لسان العرب، للعلامة ابن منظور (711ه) اعتنى بتصحيحها امين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي , بيروت، الطبعة الثالثة، 1419ه/1999م.
20. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الفكر، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1376ه/1957م.
21. المصباح المنير في غريب شرح الوجيز، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت).
22. المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد بحرفين في القران الكريم، رضا هادي حسون، البحث التكميلي الأول للماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، 1423ه/2002م.
23. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 502ه)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
24. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد ابن فارس (ت 395ه)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399ه/1979 م.
25. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت1402ه)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1417ه/1997م.
26. نحو إتقان الكتابة باللغة العربية، أ. د. مكي الحسني، (د. ط)، (د. ت).